الباب الثاني

الجذور التاريخية
للعداء الصليبي للإسلام والمسلمين

- الصراع بين العرب والروم .
- خلفية الصراع الإسلامي المسيحي .
  - بولس وقسطنطين بداية الصدام مع النصارى
- مقتل الصحابة رضي الله عنهم.
  - غزوة مؤتة ــ غزوة تبوك
  - في عهد الخلافة الراشدة ــ السلاجقة العثمانيون .
  - المغول والتتار .

الباب الثاني

الجذور التاريخية للعداء الصليبي للإسلام والمسلمين

الصراع بين العرب والروم

تمتد جذور الصراع العربي مع الغرب إلي أبعاد سحيقة في التاريخ ، ففي القرن السابع قبل الميلاد ، قامت امبراطوريتان عربيتان عظيمتان في بلاد الشام ، هما: امبراطورية الأنباط ، وامبراطورية تدمر ـ آل اذينة .

امبراطورية الأنباط (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) :

كان الأنباط شعبا شديدا ، وذا مقدرة قتالية فائقة ، فتمكن من الحاق الهزيمة بجيوش الإسكندر الأكبر المقدوني ، التي حاولت السيطرة علي عاصمتهم البتراء عام ٣١٢ ق م. ثم جاء الرومان بعد اليونان ، وحاول أباطرة روما القضاء علي مملكة الأنباط، واحتلال عاصمتهم لتتم لهم السيطرة الكاملة علي الشام ومصر ، فكانت الحرب سجالا بين العرب الأنباط والرومان .

وفي عام ٤٧ ق.م. تعاظم سلطان الرومان في الجهات الشمالية من الشام ، وزحفت جيوشهم الكثيفة لتدمير البتراء ، وجرت المفاوضات التي انتهت بالصلح ثم بتحالف العرب الأنباط مع الرومان ومشاركة القوات النبطية جيوش يوليوس قيصر في حصارها للأسكندرية في عهد ملكة مصر **كليوباترة** ، والتي قضي القيصر عليها وأزال ملكها ، وعلي الرغم من تعاون العرب مع الرومان وإخلاصهم لهم ، زحفت جيوش روما بمساندة الجيوش المصرية علي مملكة الأنباط ، واحتلوا العاصمة الجبلية البتراء في عهد الامبراطور **تراجان** عام ١٠٦ م. ، ولم تنفع الصداقة بينهما وأزال الرومان مملكة الأنباط العربية ، وأكلت يوم أكل الثور الأبيض ، وكان ذلك من نتائج التبعية ، وفقدان الروح القتالية و لركون إلي حياة الدعة والترف !!

امبراطورية تدمر :

وكانت تدمر مدينة عربية عظيمة ، تشهد آثارها الباقية حتي اليوم علي عظمتها وعظمة من قاموا ببنائها ، تأسست تدمر قبل الميلاد بقرون طويلة ، وكانت محطة للقوافل التجارية بين الشرق والغرب ، إلا أنها لم تبلغ أوج مجدها السياسي والتجاري إلا في أوائل القرن الثالث الميلادي ،حين أصبحت مملكة عظيمة تحكم من قبل مجلس شيوخ من

العرب علي الطريقة اليونانية .ولقد حاول الرومان احتلالها وضمها لممتلكات ما وراء البحار التابعة لروما ، ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا حتي عام ١٣٠ م. إذ بلغت تدمر من العظمة والقوة ما جعل ملكتها الزباء _ **زنوبيا** ــ تزحف بجيوشها وتعبر مضيق البسفور وتحاصر القسطنطينية قاصدة احتلال روما نفسها ، فصمد لها الامبراطور " أورليانوس " ونجح في إخراجها من التراب الأوربي عام ٢٧٣ م. بعد أن حاصر عاصمتها تدمر ثلاث سنوات ، ولكن بعد أن أبدت الملكة زنوبيا ضروبا من الشجاعة والبسالة والثبات أذلت فيها مجلس شيوخ روما ، وجعلت الامبراطور الذي كان يحاصرها يكتب لمجلس الشيوخ في روما حين وجهوا إليه اللوم لعجزه ثلاث سنوات عن اقتحام مدينة تتولي الدفاع عنها امرأة ، فكتب قائلا :

" **إن الشاهد يري ما لا يراه الغائب .. إنني أحارب وأحاصر امرأة إذا حاربت فهي أرجل من الرجال.** " وفي عام ١٣٠م استولي الامبراطور **هدريان** علي المدينة وغير اسمها إلي **هادريانا بالميرا** وأخضعها لسلطان روما ، وقضي علي حكمها الوطني ، بعد أن اغتال ملكها أذينة الأكبر لأنه تخلي عن عضويته في مجلس الشيوخ الروماني ، وتبرم من سيطرة الرومان على بلاده وأظهر تحديه لروما وسعي إلي التخلص من كابوس الاستعمار الروماني .

الغساسنة :

ويمضي الزمن ويحكم ملوك قضاعة الشام ــ تحت سلطان روما ــ ثم يأتي أبناء عمومتهم الغساسنة في أواخر القرن الثالث الميلادي ، ويحكمون الشام ، ويصبحون القوة الرئيسية التي تعتمد عليها روما في حروبها ضد خصومها في المنطقة . إذ كانوا رأس الحربة في الجيش الروماني الذي خاض ــ ضد المسلمين ــ معركة مؤتة في البلقاء عام ٨ من الهجرة ، حيث كان قائد العرب المتنصرة في هذه المعركة أحد سادات قضاعة وهو **مالك بن رافلة** ، وقد لقي مصرعه في ساحة الحرب.

كان الغساسنة يأتمرون بأمر أباطرة روما ، ويحكمون مناطق الشام باسمهم ثم قوي أمرهم وتعاظم واحتاج إليهم الرومان في حروبهم مع الفرس في أوائل القرن السادس الميلادي حين تغلب الفرس علي الرومان بمساعدة عرب الحيرة المناذرة وقهروهم ، حتي كادوا يحتلون القسطنطينية في عهد الامبراطور جوستنيان الذي كان يعاصر كسري أنو شروان . ساند الحارث بن جبلة الرومان حينئذ ، وكان لدخوله الحرب إلي جانب الرومان أهم أسباب نصرهم واستعادتهم الأقاليم التي استولي عليها الفرس .

بولس وقسطنطين :

حين طمس بولس الذي يسمونه (بالرسول)، نور المسيحية وطعمها بانحرافات جاهلية ، واعتنق قسطنطين امبراطور الروم ، المسيحية وعقد مؤتمرا مجمعا كنسيا في نيقية بأسيا الصغرى عام ٣٢٥م.لم يلتزم فيه بالتصور الحق لله تعالي ، الذي جاء به عيسى عليه السلام والمسيحيون الأوائل ، وأصدر المجمع قرارا له طبيعة الدستور فيما يتعلق بعقيدة التثليث كعقيدة أساسية في المسيحية ، مخالفا ماجاء به عيسي عليه السلام وبشر به . وحرفت المسيحية وقضي قسطنطين على البقية الباقية منها بعد أن أجهز على كافة الآثار والمخطوطات التي عارضتها .

واعتنق الروم البيزنطيون المسيجية بعد أن أصبحت على يد قسطنطين مزيجا من الوثنية اليونانية الرومانية ، وأدخل فيها الكثير من الخرافات والتحريفات والتبديلات ، التي أخرجتها عن جوهر التوحيد .وبدلا من أن تغير تعاليم المسيح من طباعهم ، انطلق الرومان في سياسات الاغتصاب والاجتياح ، والنهب والاضطهاد للشعوب ، وبدلا من أن يؤمنوا بمقولة :" من ضربك علي خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر " انطلقوا يلطمون الوجوه عن اليمين والشمال ، فاغتصبوا بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، بعد صراعهم مع الأنباط وتدمر ، واحتلوا العاصمة البتراء ، وكانت الحرب بين العرب والروم سجالا ، وبدلا من أن يتنصر الروم ، ترومت النصرانية .

بداية الصدام بين العرب المسلمين ونصارى الروم:

حين عم نور الإسلام جزيرة العرب ، على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك ورؤساء وأمراء الشرق الأوسط ، يدعوهم إلى الإسلام ، وكان ممن دعاهم إلى الدخول في دين الله ، هرقل عظيم الروم ، أرسل إليه رسالة يحملها الصحابي دحية بن خليفة الكعبي رضي الله عنه ، جاء فيها : "بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله ورسوله ، إلى هرقل ملك الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك أجرك مرتين وإن تتولى فإن إثم الأكارين عليك ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "

هذه الرسالة أعلنت أميرة عربية تقيم في لندن أنها تمتلك أصلها وتحتفظ بها ، وأن عائلتها توارثتها جيلا بعد جيل حتى آلت إليها ، وأنها ورثت معها وصية بألا تتصرف فيها إلا لحاكم مسلم ، وقد انتقل إليها الدكتور عز الدين ابراهيم ، المستشار الثقافي لرئيس دولة الإمارات ، وأجرى على الرسالة بعض الاختبارات العلمية عن طريق أشهر خبراء

الحدود الذى أكد على صحتها

والجدير بالذكر أن هرقل أطلع بطاركة الروم على الرسالة ، ودعاهم لقبول الدعوة ولكنهم رفضوا واستكبروا ، وخاف هرقل على نفسه وملكه منهم ولم يدخل الإسلام.

استشهاد الصحابة رضي الله عنهم:

ويبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، كعب بن عمير وأربعة عشر رجلا من أصحابه إلى **ذات أطلاح** من أرض الشام خارج جزيرة العرب يدعوهم إلى الإسلام ، فيأخذهم متنصرة العرب الغساسنة على غرة ، ويقتلون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدرا ، ويشق ذلك على النبى والمسلمين معه. ويرسل النبي صلى الله عليه وسلم ، الحارث بن عمير الأزدي ، إلى ملك بصرى والجولان ، الحارث بن أبي شمر الغساني ، بكتاب يدعوه إلى الإسلام ، فيقتله شرحبيل بن عمرو الغساني من أمراء ملك بصرى ، ويشتد الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخاصة بعد أن هدد ملك غسان المتنصر بغزو بلاد المسلمين ، وقال إني سائر إليه ،أى إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

كانت المنطقة التي قتل فيها الصحابة رضي الله عنهم من ممتلكات الروم والتاج البيزنطي ، وكانت التهديدات بغزو الجزيرة العربية واحتلال المدينة المنورة من قبل جيوش الإمبراطورية على يد عميلها الحارث بن أبي شمر الغساني .

لذلك كان قرار النبي صلى الله عليه وسلم ، بالتصدي لجحافل الروم ومتنصرة العرب الذين غدروا بأصحابه ، وصاروا يهددون الدولة الإسلامية ، ويقاتل الروم المسلمين في مؤتة في العام الثامن من الهجرة ، بعد أن كتب إلي الروم متنصرة العرب!!

يقول **صاحب السيرة الحلبية**: لقد استمرت هذه المعركة ستة أيام ، وهزم فيها المسلمون هزيمة منكرة بعد مصرع القادة الثلاثة، لولا أن قيض الله تعالى للجيش الإسلامي قائدا خالدا ،استطاع بتوفيق الله ثم بمهارته العسكرية من أن ينسحب، ويسحب معه ثلاثة آلاف مقاتل ، أنقذ رؤوسهم من تحت مطرقة الموت ، التي أخذ مائتا ألف بيزنطي وحليف عربي يهوون بها على رؤوس أفراد ذلك الجيش الإسلامي الصغير الذي أنهكته الحرب وفقد قادته الثلاثة ، وسقط لواءه على الأرض وتمزق شمل وحداته تمزيقا مربعا .

ثم جاءت **غزوة تبوك** في العام التاسع من الهجرة ، آخر غزوة غزاها النبي صلى‌الله عليه وسلم ، لتكشف نوايا الروم العدوانية ، ومعهم أعوانهم من متنصرة العرب ، على الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية .

والتحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، ويتولى خليفته الصديق رضى الله عنه حمل الأمانة ،فيقضى على المرتدين والمتنبئين ومانعي الزكاة ، ويعيد الأمر الاجتماعى والسياسي لدولة الاسلام فى ربوع شبه الجزيرة العربية ، ثم يتابع

المهمة الأساسية التي كلف الله تعالى بها رسوله على ظهر الأرض ، مهمة نشر العقيدة وراء أرض العرب ، ليكون الدين كله لله ، وأن يواجه القوى الطاغية التي تقف في وجه انتشار الدعوة الإسلامية والتي تمثلت في الأنظمة الباغية والسلطات الحاكمة المستبدة التي تقف حاجزا يحول دون انتشار الإسلام وبلوغه إلى عقول الناس وضمائرهم .

أنفذ **أبوبكر رضى الله عنه** ، جيش أسامة بن زيد بن حارثة إلى حيث قتل أبوه وأصحابه في مؤته ، ونجح في ردع القوى التي فكرت في الزحف جنوبا نحو مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أعد الصديق رضى الله عنه، الجيوش الإسلامية وزودها بالإمدادات لفتح البلاد وتحرير الشعوب الخاضعة للروم والفرس في الشام ومصر والعراق ، وأخذ أهل البلاد المفتوحة يدخلون في دين الله أفواجا ، حتى صاروا جزءا أساسيا في بناء الدولة الإسلامية ، ولم تستطع الامبراطورية الرومانية ولا الامبراطورية الفارسية الوقوف في وجه دولة الإسلام الجديدة .

وشهد الإسلام في **عهد عمر بن الخطاب** رضي الله عنه ، أشهر المعارك والصدامات العسكرية ضد الروم والفرس ، في اليرموك، وأجنادين، والقادسية، والمدائن، ونجحت لجيوش الإسلامية في تأدية واجبها، وكان النصر حليفا للمسلمين المؤمنين الذين قاتلوا عن عقيدة وإيمان ، فتفوقوا على ما كان لدى أعدائهم من سلاح وعتاد ودقة تدريب، وحسن تنظيم. وتحررت شعوب مصر والشام ، والعراق وفارس من طواغيت الروم والفرس .

وفي **عهد عثمان بن عفان** رضي الله عنه ، استمرت الدولة الإسلامية في النمو والتوسع على حساب دولة الروم البيزنطيين ، وشهد عهده فتوحات إسلامية في بلاد طبرستان والخزر وأرمينيا ، وبلاد آسيا الصغرى ، فضلا عن برقة وشمال أفريقيا وجزيرتي قبرص ورودس.

لقد جاءت أوروبا النصرانية لتقاتل الإسلام والمسلمين في بلاد الإسلام والمسلمين ، جاء الروم ليقاتلوا محمد صلى الله عليه وسلم ، في الشام ومصر والأناضول والمغرب ، وقبل المسلمون التحدي واستجابوا له ، وخرجت الجيوش المسلمة من شبه الجزيرة العربية في وحدة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، نقلت العرب والمسلمين إلى أوروبا.

ولم يكد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى دالت دول ، ودانت بالإسلام دول مثل سوريا وفلسطين وفارس ومصر وأرمينيا وقبرص وشمال أفريقيا . ولم ينته القرن الهجري الأول حتى تجاوزت الفتوحات والانتصارات الإسلامية جنوب أوروبا ، وبلاد ما وراء النهر في آسيا الوسطى ، وبلاد الهند والسند، لترسي قواعد الحضارة الإنسانية ، وشهدت القسطنطينية أول حصار إسلامي كان فيه الصحابي أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه ، وكان حاملا للواء الجيش الإسلامي .

هذه الانتصارات العظيمة أزعجت الغرب الصليبي ، ثم جاء **السلاجقة** وأشعلوا نيران الحروب الصليبية بعد انتصاراتهم الكاسحة على البيزنطيين فى **موقعة ملاذكرد** التي أسر فيها الامبراطور ألب أرسلان ، السلطان السلجوقي المسلم ، امبراطور الروم رومانوس هذه الموقعة التي خاضها المسلمون في عدد لا يتجاوز ربع قوة الأعداء ، واختار فيها **ألب ارسلان** يوم الجمعة للاشتباك فيه مع الروم بعد أن صلى بجنده ظهرا ولبس البياض ، وتحنط استعدادا للموت في سبيل الله ، وزحف على رأس قواته عام ١٠٧١ م.

الأتراك العثمانيون:

ويأتي العثمانيون من بعد السلاجقة ، ليواجهوا الغرب الصليبي بالقوة العسكرية، منتصرين ثلاثة قرون ، ثم مدافعين ثلاثة قرون أخرى ، فنقلوا الحرب والصراع إلى قلب أوروبا أيام عثمان بن أرطغرل ، وأورخان وبايزيد ومراد ومحمدالفاتح الذي نجح في فتح القسطنطينية ، ونجح بنو عثمان في تحويل البحر المتوسط والبحر الأسود وخليج فارس والبحر الأحمر إلى بحار إسلامية ، وهنا بدأت فرائص الغرب ترتعد خاصة بعد أن عبرت الجيوش الإسلامية شبه جزيرة البلقان ووصلت إلى عمق الأراضي الأوروبية بين عامى ١٥٢٩ : ١٦٨٣م. هذه الفتوحات ظلت ذكراها الأليمة عالقة في ذاكرة الأوربيين ، ولم تنس أوروبا وقوف الجيوش التركية أمام أبواب فيينا مرتين .

المغول والتتار :

وجاءت غزوات المغول والتتار في موجات عاصفة على دفعات متتالية طيلة قرنين ونصف من الزمان ، كانت الموجة الأولى بقيادة جنكيزخان ، ثم كانت الموجة الثانية بقيادة هولاكو ، وبعد نحو نصف قرن من حكم هولاكو تحول المغول والتتار من الوثنية إلى الإسلام . فدخل السلطان بركة خان ــ زعيم القبيلة الذهبية ــ الإسلام، واعترف به دينا لدولته ، وتحالف مع السلطان الظاهر بيبرس ، سلطان الدولة المملوكية في مصر ، ضد الصليبيين والتتار الوثنيين ، ثم انضم إليه أوزبك خان أول من جد في نشر الإسلام في انحاء روسيا ، ثم اعتنق تكودار بن هولاكو الإسلام وتحالف مع السلطان قلاوون في مصر ، ونشر الإسلام في أوروبا على حساب امبراطورية الروم البيزنطيين.

عندما أسس جنكيز خان دولته ، واستولى على ما جاوره ، ثم اجتاح أسيا الوسطى وتحرك بجحافله نحو الشرق الأوروبي فأخضع سكانها لهيمنته وبسط سلطانه على القبائل الروسيه التي كانت تقيم في شرق أوروبا ، لتصبح روسيا ضمن امبراطورية المغول والتتار الشاسعة ، يحكمها أبناؤه من بعده باسم الإسلام .